14/12/2012 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

صفة الصفوة

الجنيد بن محمد بن الجنيد (5)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين، وبعد:

نحن نقرأ في كتاب **صفة الصفوة** لابن الجوزي والكتاب يتحدث في سير أولياء هذه الأمة.

وهدف القراءة في هذا الكتاب أن يعلق قلبك بواحد منهم فتعمل عمله فتلحق برتبته.

والحديث من أسابيع عن الإمام الجنيد أبو القاسم الخزَّاز القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً (بائع قماش).

سبق أيها الإخوة أن الولاية لا تحتاج لأن يتفرغ أحدنا في المسجد، بل المكان الذي تعمل به ممكن أن تكون فيه من الأولياء.

فالأمر ليس مرتبطاً ببيعك وشرائك ما دمت تبيع وتشتري بطريق حلال، لكن مطلوب منك أن تنضبط بأمور ثلاثة:

1- ترك الحرام.
2- وإتقان الفرائض.
3- وأداء النوافل.

مطلوب منا قبل موتنا أن نكون أولياء.

ليس هناك وقت فاجتهد بترك الحرام وإتقان الفرائض وأداء ما استطعت من النوافل، وعندها تكون في مدرسة الأولياء وبعد ذلك نتمايز؛ لأن الأولياء ليسوا رتبة واحدة بل هم في رتب لكن يجب أن تكون منهم بإذن الله تعالى.

والآن فلننظر بماذا تميز الجنيد عن غيره:

عن إسماعيل بن الجنيد قال: **دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو في النزع فسلم عليه فلم يرد عليه، ثم رد عليه بعد ساعة وقال: (اعذرني فإني كنت في وردي) ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات رحمه الله.**

قال أبو محمد الحريري: **كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: (يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو ذا تطوى صحيفتي).**

فالأولياء لهم أوراد، ووظائف بقراءة القرآن، ووظيفة بالتسبيح والتهليل والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينام حتى يؤدي وظيفته.

فإذا أردت أن تكون تاجراً أو إنساناً لك قيمتك فكل يوم مهما كان الطقس أو الظرف فعليك أن تذهب للعمل، ونفس الشيء إذا أردت أن تكون ولياً فهل يعقل أن لا تأتي إلا في خطبة الجمعة؟!

بالله عليكم تخيلوا طبيباً يفتح عيادته فقط يوم الجمعة من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة، تصوروا صاحب محل لا يفتح إلا كل جمعة ساعتين فقط، تصوروا طالب جامعة لا يدرس في الأسبوع إلا ساعتين، تصوروا مسلم لا ينضبط بالدين إلا يوم الجمعة من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة.

الدين موجود في كل خفقة من خفقات قلبه، حتى أنه عند موته لم يترك ما عليه.

طبعاً من عاش على القرآن يموت عليه، بل يراه في المنام، ومن عاش على البيع والشراء والأخذ والعطاء ونسي انضباطه بالشرع والذكر فأيضاً يموت على ذلك.

أحد الإخوة قال لي: أن زوجته أيقظته وقالت له: أنت تقوم بالحسابات وأنت نائم.

طبعاً من أكثر من ذكر شيء شَغَلَهُ، لا يوجد مانع أن تقوم بهذا الأمر لكن من غير المعقول أن يكون يومك كله هكذا، وإلا كيف ستتعلم دينك؟

أنت تحب الله ورسوله ولكن هذه عاطفة ونريد تحويلها لسلوك.

وعن أبي محمد الحريري قال: **حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين، فلم يزل باكياً وساجداً فقلت له: يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد أحوج ما كنت إليه هذه الساعة، فلم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا.**

وعن فارس بن محمد قال: **كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدم إليه الوسادة فيسجد عليها.**

مطلوب منك النوافل لكن هناك أناس فنانين بالصلاة، وهناك أناس فنانين بقراءة القرآن.

قال لي بعض الإخوة: أن والدته في كل أسبوع تختم القرآن.

أحد الإخوة الأطباء قال لي: جدتي امرأة عمياء بلغت الثمانين، وهي كل يوم تصلي ثمان ركع تهجد.

هذا الأمر يعطينا القوة عند نوازل الحياة وما أكثرها.

نوازل الحياة إما أن تكون عامة، كالتي نزلت في البلد أو خاصة، فهذا يمرض، وهذا يتعب، وهذا يقل ماله... فإذا لم يكن هناك صلة لهذا القلب برب العالمين فإن الإنسان سيهلك.

مما ذكر في موضوع القلق النفسي أن أصحابه تراودهم أفكار في الموت أو الانتحار، فإذا كان هناك صلة بالله عز وجل سيصبح راضياً بما رضي الله تعالى له، وهذا الرضى يعطيه سكوناً وطمأنينة، وهذا السكون يجعله يقدم أعماله بشكل جيد، وبالتالي تسهل الأزمة.

أما أن يكون هناك أزمة خارجية واضطراب داخلي، فسيعجز عن أداء أعماله المطلوبة، فتزيد الأزمة أزمة وهي حلقة مفرغة تزداد شيئاً فشيئاً.

وختاماً توفي الجنيد يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل سبع وتسعين وغسله أبو محمد الحريري، وصلى عليه ولده، وحزروا الجمع الذي صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً.

الإمام أحمد بن حنبل كان إذا ناقش واحداً من الذين يعاندون في الدين ورأى أنه لا يفهم عليه ومتشنج ومتصلب برأيه الخاطئ يقول له: بيننا وبينكم الجنائز.

أي غداً أنا وأنت سنموت فانتظروا لتروا مدى إقبال الناس لتوديع هذا الإنسان الصالح الذي مات، ومدى إقبال الناس لتوديع الشخص الشرير أو السيئ والفاجر الذي مات.

وعن جعفر الخلدي في كتابه قال: **رأيت الجنيد في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.**

كل ما يخطر في بالك من ملابس ذهبت، وكل شيء من أثاث ذهب، كل المزارع كل النزهات كل المناصب الفخرية، وشهادات الدكتوراه، والأستذة الجامعية كلها ذهبت، ولم ينفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

تعـالوا نجتهـد مـا اسـتطعنا في بـذل الخير والـبر للعبـاد، وفي زيادة الصـلة بالله عـز وجـل في الأذكار والأوراد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم عجل لنا بالفرج محفوفاً بألطافك الخفية.

بفضائل الفاتحة